يذكر برانت ردود فعل الكُرد ورؤسائهم إزاء الضرائب المختلفة التي أثقلت كاهلهم ونكاد أن نجزم ان ما من منطقة أو قرية أو قبيلة مر بها برانت إلا واستمع إلى شكاوى تتعلق بالضرائب.

لقد حاول برانت ان يتعرف كيفية احتساب الضريبة ومقدارها ويذكر لنا لقاءً بينه وبين أحد جباة الخراج الذي ابلغه بان المبلغ الكلي للخراج المجموع من كل أنحاء (الباشوية) التي كان يعمل فيها هو (٤٦٠) حافظة نقود فيها (٢٣٠٠) ليرة، لكن برانت اعترف في مذكراته انه لم يستطيع ان يقدر العدد الكلي لأفراد المنطقة لان المقاييس المعتمدة في جباية الضريبة مقاييس متباينة وكل جماعة تقيس بمقياس غير المقياس الذي تدفعه جماعة أخرى في نفس المنطقة (٨٦).

ترى هل كانت هناك عوامل موضوعية تبرز هذا التباين في مقادير الجباية الضريبية من المنطقة الواحدة كالاختلاف في مستويات ما تعطيه الأرض هنا وهناك أو في تباين ممتلكات الجماعات أم ان هذا التباين يعود إلى الفساد الإداري الذي كان سمة الحكم العثماني من بدايته إلى نهايته؟ هذا ما لم يوضحه برانت.

لقد مر برانت بمدينة وان ووصفها بأنها ليست على درجة كبيرة من الازدهار وان البضائع الأوربية نادرة فيها بسبب فقر الناس، وقد دون برانت إنطباعاته عن هذه المدينة التي كما يذكر ان فيها من عوامل الازدهار التجاري ما يكفي ان تصبح مدينة تجارية لولا سوء الإدارة فيها ونقص الأمن.

وذكر برانت أثناء مروره بهذه المدينة ان هناك أكثر من خمسمئة جومة تعمل في غزل وحياكة الأقمشة القطنية الخشنة المستوردة من بلاد إيران وان قسماً من هذه الأقمشة يستهلك في المناطق المجاورة والقسم الآخر يرسل إلى بتليس للصبغ وبعضه يستخدم للاستهلاك المحلي في المنطقة فضلاً عن ذلك فان المنطقة تستورد الأقمشة من دمشق وحلب.

ان (الشال) يستورد من كرمان - والشال في الحقيقة هو نسيج مزخرف خاص وغالي الثمن وسميك ويطوى عدة طيات ثم يتحزم الكُردي به وفوق الشال يتحزم البعض بحزام جلدي عريض بيد ان الشال اخذ بالانقراض على ما يبدو واخذ (الشيتك) يحل محله وهو قماش عادي أي نوع من القماش يلفه الكُردي على وسطه بدلاً عن الشال وكان يسمى بـ(شالى عَجَما) أي الشال المصنوع في إيران - وفي المناطق المتاخمة لمدينة وان تنتج أنواع من التوت الأحمر والأصفر وكميات من مركبات الكبريت الأصفر الذي يستخرج من جبال هكاري للبيع وقد لاحظ برانت شحة الصادرات في هذه المدينة ما عدا الفاكهة الطازجة والمجففة كما لاحظ ان المنطقة يكثر فيها إنتاج الفاكهة والحبوب والنبيذ وهي من السلع رخيصة الثمن فضلاً عن

إنتاج بذور الكتان التي يستخلص منها زيت الكتان المستعمل للإضاءة.

الناس من ذوي الاعتبار يملكون داراً في المدينة وآخر في الريف مع بستان للفاكهة أو الكروم وقد وجد ان الفرد الكُردي في هذه المنطقة بإمكانه تأمين حاجاته العائلية مما تدر عليه بستانه أو مزرعته بالرغم من انها أرباح متواضعة قد تتراوح بين (٢٠-١٠٠) ليرة.

ويذكر برانت ان هناك من الأشخاص في المنطقة ممن يمارسون مهنة الصرافة وهؤلاء في مستوى مادي افضل أما الفقراء فقد يضطرون إلى السفر إلى استانبول للعمل وتأمين أمور حياتهم (١٢٣).

ويعود برانت إلى موضوع الضرائب التي لفتت انتباهه وتحت مختلف التسميات والذرائع، وقد ذكر له أحد الحكام المحليين لإحدى القرى الكُردية ان ضريبة (القشلة) هي التي تنغص حياة المواطنين في قريته ولاتدعهم يعيشون بمستوى من العيش الجيد وضريبة القشلة هذه هي ضريبة تدفعها القبائل الكُردية مقابل إيوائهم في القرى السهلية في موسم الشتاء أي بعد عودتهم من الجبال. وعلى ما يبدو فان القشلة معناها (دائرة حكومية) أو (السراي) وان هذا الإيواء كان يتخذ لنفسه طابعاً رسمياً بالرغم من ان كثيراً من القبائل لها مشاتيها أي لها قراها الخاصة بها لتقضي الشتاء فيها وتلك هي القبائل نصف البدوية أما القبائل التي لاتملك بيوتاً تقضي فيها الشتاء فكانت تستضاف من أهل القرى ويجري بين الطرفين اتفاق إذ تسكن لقاء ما تقدمه من اجر قد يكون خرافاً أو مالاً.

ان ضريبة الساليانة (أي الضريبة السنوية) التي تدفع للاغا أو الباشا في كُردستان ليس لها (تسعيرة) معينة أو معايير ثابتة فقد لاحظ برانت ان في مدينة موش التي تسكنها (٧٠٠) عائلة مسلمة وما يقرب من (٥٠٠) عائلة أرمنية، وهؤلاء أي الأرمن كانوا في وضع اقتصادي افضل من الكُرد وكانوا يدفعون ضريبة (الساليانة) بينما كان الباشا قد أعفى الكُرد من الساليانة (٣٢).

ان هذا التعامل الذي فرضه هذا الباشا والذي ذكره برانت بالتأكيد هو ليس الصيغة العامة المعمول بها حول دفع ضريبة الساليانة في كُردستان بل هو إجراء فردي. ولكي نكون فكرة واضحة عن الوضع الإقتصادي لكُردستان تركيا التي مر بها برانت في ذلك الزمان ١٨٣٨ لابدّ من اخذ شريحة إجتماعية لا اقتصادية من البيئة الكُردية آنذاك.

ان برانت يصف قرية بيران التي تسكنها (٩٠) عائلة مسلمة و(٨٠) عائلة أرمنية وان هذه القرية هي واحدة من خمسين قرية يملكها شخص واحد وهو (بيك) منطقة ايكيل وهذا (البيك) بدوره يخضع لسلطة محافظ منطقة اركه هانا مادن ولم تكن من عاداته نهب أموال

الناس كما يفعل الكثير من البكوات الآخرين وكان الناس بالنتيجة يعيشون بأمان في ظل سلطانه (٥٩).

ان برانت يصف لنا إنطباعاته بان القرية توحي بان الوضع الإقتصادي والمعاشي لسكانها في مستوى جيد ولكن (الآغا) أي كبير القوم. في تلك القرية اخبر برانت بان القرية كانت فعلاً في مستوى معاشي جيد ولكن ازدياد الضرائب المفروضة على السكان مؤخراً اثر كثيراً على مستوى دخل الفرد في المنطقة وفقدوا الحالة المزدهرة التي كانوا يعيشونها فلقد فرضت عليهم زيادة على ما كانوا يدفعون (٥٠٠٠) عبوة من الفحم النباتي وهذا كان يكلف القرية (٢٥٠) ليرة يدفعها أبناء القرية بالتكافل وقد تساءل برانت ما إذا كانت هذه الضريبة هي ضريبة (الساليانة: السنوية) فأجاب كلا ان هذه ضريبة إضافية تدفع فوق ضريبة الساليانة والضرائب الأخرى (٦٠).

ان إنطباع برانت من ان الوضع المعاشي لهذه القرية وسواها جيد وقد لاحظ ان هذه القرية وسواها من القرى في المنطقة تحيط بها المزروعات من كل جانب ولكن عملية الاستنزاف المستمر من قبل السلطة من جهة إلى جانب النظام الإقطاعي الذي يسود المنطقة من جهة أخرى يجعل الجزء الأعظم من السكان في حالة من الفقر والعوز...

أما هاملتون (نهايات العشرينيات من القرن العشرين) فينقل لنا إنطباعات بيري وهو مهندس بريطاني برتبة رائد وكان يتأهب للسفر في إجازة عندما التقى هاملتون الذي ذهب ليباشر العمل في كُردستان.

لقد أوصى بيري ان ينال العمال الكُرد اعدل ما يمكن من معاملة وأطيبها وقد أوضح لهاملتون ان هذه البلاد ويعني كُردستان ما زالت تعيش في القرون المظلمة بقدر ما يتعلق الأمر بظروف العصر وذكر وجوب العمل من اجل إزالة هذه الأحوال السيئة في كُردستان التي لاتختلف كثيراً عن حال الرق والعبودية الا بشيء طفيف جداً.

وقد أكد لهاملتون انه حاول رفع مستوى العمال في مجال عمله فرفع اجر العامل اليومي إلى ثمانية عشر بنساً أي ما يعادل (٧٥) فلساً عراقياً وهو كما يذكر مبلغ كاف لطعام العمال ودخانهم شريطة ان لايرفع تجار المدن المجاورة المحتالون أسعار بضائعهم.

ان الوضع الإقتصادي السيء واضح جداً من إعتراف بيري لهاملتون برغبته في تحسين أوضاعهم من خلال محاولة حمل الحكومة (الحكومة العراقية) على إقرار مبدأ التعويض عن الإصابات التي تحصل للعمال أثناء العمل وعلى العلاج المجاني لمرضاهم وعلى دفع تعويض تقاعدي أو إعانة لزوجة وأطفال كل عامل يموت أثناء العمل (٤٥).

ان هاملتون لم يكن متفائلاً من ان (الحكومة الوطنية) سوف تستجيب لهذا البريطاني الذي يريد ان يدافع عن حقوق العمال الكُرد وهم يشقون طريقاً في كُردستان، الحكومة العراقية نفسها بحاجة إليه (٤٥).

وفي موضع آخر يذكر هاملتون ان الكُردي العادي يعيش عيشة كفاف لا بل عيشة فقر مدقع إذ يصف البلاد بانها شحيحة جرداء قاسية لاترحم وليس فيها مساحات كبيرة سهلة تصلح للزراعة فهم شعب فقير لكنهم ذو أنفة وكرامة.

والحقيقة ان ما ذهب إليه هاملتون من إنطباع صائب لاشك، ولكن الأرض ليست شحيحة جرداء لو أصابتها العناية فأراضي كُردستان فيها الكثير من المعادن وان كثيراً من المرتفعات هي ليست صخرية فان عدداً لايحصى من الهضاب والتلول الترابية غير مستثمرة زراعياً على طريقة المدرجات فضلاً عن وجود أراضي سهلية واسعة في كُردستان فعلى سبيل المثال لا الحصر في كُردستان العراق هناك ثلاثة سهول زراعية عملاقة مثل سهل شهرزور وسهل أربيل وسهل السندي وهي أراضي زراعية خصبة تزرع فيها الحبوب وتعتمد على الأمطار فضلاً عن آلاف القطع الزراعية التي يمكن ان تستثمر.

ان ما نريد قوله، ان العلة ليست في الأرض الغنية لكن العلة في النظام الذي لايسمح ولايساعد الناس في استثمار خاماتها وتربتها، فهاملتون عندما يتحدث عن وجود فقر مدقع في كُردستان هو لايبتعد عن الحقيقة وواقع الحال ولكن إلى جانب هذا الفقر كان هناك الإقطاعي (الآغا) والشيوخ والمتنفذين والمتواطئين مع الموظفين الإداريين، زد على ذلك الإهمال المتقصد من الحكومة المركزية لاعاقة إنعاش المنطقة اقتصادياً بالرغم من كل التغيرات الوزارية والسياسية التي عاشتها الدولة العراقية.

اما ادموندز (خلال العقد الثاني من القرن العشرين) فقد عني بدوره بالوضع الإقتصادي في كُردستان وهو يسجل مذكراته وإنطباعاته وقد ذكرنا ما كتبه ادموندز عن الواقع المعاشي في السليمانية قبل وصول نوئيل إليها عام ١٩١٨ والوضع الرديء الذي وصلت إليه هذه المدينة حتى بلغ الجوع بأهل المدينة أكل لحم جثث إخوانهم من البشر (٧٩).

عند التطرق إلى المنظور السياسي يذكر ادموندز ان القاعدة العامة في كُردستان كانت ان يدفع الفلاح عشر النتاج وكل صاحب قطيع يدفع حيواناً واحداً تسمى ضريبة (كودا) وهي تفرض على أساس عدد رؤوس الحيوانات وتجبى مباشرة إذا كانت الحكومة قوية في المنطقة اما إذا كانت ضعيفة أو فاقدة للسيطرة فيقوم الآغا مقام الحكومة في جباية العشر وكذلك الكودا.

وما ذكره ادموندز ويمكن ان نستدل على (عدالة) الآغا في تصرفه مع هذه الضرائب وهو يجمع اموالاً في ظل حكومة ضعيفة أو فاقدة للسيطرة فضلاً عن الإتاوات الإضافية التي يفرضها على المواطن إذا ما استجدت بعض المبررات مثل بناء مضيف وكذلك قد يفرض بعض الغرامات على هذا وذاك أو قد يطلب منهم القيام بأعمال له دون أجر، هذه الأمور التي يعرفها كل كردي عايش الريف الكُردي أو القبيلة الكُردية.

ان من المصاعب التي كانت تواجه مختار قرية ما أو وكيل الحكومة هي مسألة جباية الضرائب من قبيلة قوية الشكيمة وفي مناطق يصعب فيها الإحصاء فنجد ان هذا المختار أو الوكيل يتذرع بشتى الذرائع لتأجيل الإحصاء أو التملص منه أو التغافل عن القبيلة حتى تكون قد غادرت المنطقة المسؤول عنها إلى الجبال أو إلى ما وراء الحدود.

ان ادموندز يعطينا مثالاً على معاناة المختارين أو وكلاء الضرائب مع قبيلة الجاف من جهة والقادرة على إخفاء ما لديها من أغنام.

يذكر ادموندز أنواعاً من الضرائب والإتاوات التي لاحظها في كُردستان.

ان ذكر اسماء الضرائب لم يقتصر على ادموندز لوحده بل يمكن ان نجد اسماء عديدة لأنواع من الضرائب والإتاوات التي كانت تفرض على المواطنين الكُرد وبعض هذه الاسماء تتغير تبعاً لاختلاف اللهجات أو المناطق الجغرافية في كُردستان.

فالزكاة واجبة الدفع وهذه مسألة دينية ولكن على المواطن ان يدفع ضريبة (الاغاتية) وهي مساهمة مفروضة على العشيرة لكي يستطيع (الاغا) أي رئيس العشيرة تمشية أمور عشيرته أي مصاريف ديوان رئاسة القبيلة وهنا ضريبة (المرانة) وهو واحد من كل خمسين رأس من الغنم أو ما يعادله نقداً وضريبة (البوشانة) وهي ضريبة الرعي وضريبة (الرونانة) وهي ضريبة السمن وحتى البيض يمكن ان يكون مشمولاً بالضريبة وهناك ضرائب تفرض على الزواج (سورانة) وتؤخذ من أبوي العروسين وهناك غرامات تفرض على تسوية أمور الزواج بالخطف فضلاً عن (البيتاك) وهو اكتتاب يشمل كل العشيرة قد يكون من اجل تغطية نفقات حفلة الزواج في أسرة الآغا أو لغيرها من الحفلات.

ويذكر ادموندز ان أسوء أنواع الضرائب هي (بيكار وهَرَويز) أي السخرة وهو ما يفرضه الآغا من أعمال دون مقابل على أفراد العشيرة كالحصاد أو التندرية أو دس الحبوب (٢٠٤).

اما توما بوا (في مطلع القرن العشرين) فقد ساهم بدوره بوصف الوضع الإقتصادي في كُردستان، فالحضريون يزاولون مهنة التجارة في مدنهم الصغيرة ولهؤلاء التجار مخازن صغيرة تغذى بواسطة أهالي القرى والكُرد الرحل فضلاً عن وجود تجار كبار ويقصد تجار الأغنام

والصوف والجلود، كما ويبدو من معايشة توما بوا للكرد ان تجارة ومنتجات الألبان والجوز والعفص والخبز كانت تجارة رائجة في سوق المدن الكُردية الكبيرة.

لقد لاحظ بوا في استانبول ان تجار المواشي كانوا أكرادا وكذلك لاحظ ان المشتغلين في أسواق الخضرة والجزارين في بيروت كانوا أكراداً.

ولاينسى توما بوا الحديث عن بعض العمال الكُرد ممن تضطرهم الحياة إلى السفر بعيداً عن مدنهم الكُردية بحثاً عن العمل وغالباً تكون هذه الأعمال شاقة مثل أعمال الحفر والنقل والحمالة وقد وصفوا بالاقوياء لقدرتهم على تحمل الأعباء والأعمال الشاقة سواء في استانبول أو في بيروت.

وقد أشار توما بوا إلى الضرائب التي ذكرها ادموندز ويبدو ان بوا كان قد اطلع على مذكرات ادموندز إذ يشير إلى ذلك بنفسه (٣١).

أما باسيل نيكيتين (في مطلع القرن العشرين) فقد أشار إلى الجانب الإقتصادي والتجاري في كُردستان، وهو يرى ان هذا الجانب قد أهمل من قبل أكثر الباحثين.

يذكر نيكيتين ان كُردستان عاشت نوعاً من النظام الرأسمالي إذ كانت مركزاً هاماً في تموين بغداد والقسطنطينية وسوريا بالمواشي وكذلك كانت تصدر الصوف والعسل والأصباغ وبعض مواد الصباغة وبالمقابل كانت تستورد الأسلحة والأنسجة القطنية والحرير والسكر وبعض الأصناف الاستهلاكية الأخرى ويعتقد نيكيتين ان صادرات كُردستان كانت أكثر من وارداتها مما ساعد على تجميع مقادير من الأموال لدى الأكراد الحضر.

ان مدينة استانبول وحدها كما يذكر باسيل نيكيتين كانت تستورد ما لايقل عن مليون ونصف مليون رأس غنم وبقر من كُردستان وبالرغم من ان نيكيتين لم يوضح الوحدة الزمنية للاستيراد ولكن الأرجح ان نيكيتين يقصد الاستيراد بالسنة الواحدة. وهو لاينسى ان يشير إلى وعورة الطريق من كُردستان إلى استانبول وبعد المسافة كانت تؤدي إلى فناء عدد غير قليل من هذه الحيوانات المصدرة. أي بعبارة أخرى ان ما كان يصدر من الأغنام والماشية يفوق العدد الذي ذكره باسيل نيكيتين.

كذلك فقد عرفت كُردستان بتصدير مادة العفص وهي ثمرة تفيد في الدباغة والصباغة وتكثر أشجارها في كُردستان ويقدر باسيل نيكيتين ان كُردستان تركيا كانت تصدر ما قيمته (٣٥٠٠٠) ليرة إسترلينية من هذه المادة وما قيمته (٧٠٠٠٠٠) جنيه إسترليني من مادة الصوف وبالأخص صوف الماعز (الانغورا) الذي يستخدم في صناعة المعاطف والشالات.

الجدير بالذكر ان هذه المبالغ تعد مبالغ ضخمة جداً قياساً بحاضرنا الإقتصادي ذلك ان

باسيل نيكيتين قد كتب عن أوضاع كُردستان كما كانت في وقت تصل بين ظروف نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين كما تجدر الإشارة إلى ان استخدام مصطلحي الليرة الإسترلينية والجنيه الإسترليني لايعني أي فرق مالي فقد ورد المصطلحان الليرة والجنيه للتعبير عن (الباون) الإسترليني.

ان عملية التجارة في كُردستان لم تكن حرة على ما يبدو إذ يشير باسيل نيكيتين إلى ان الكُرد كانوا يخشون رجال الكمارك فيأتي التجار الأرمن واليهود والأتراك يحملون البضائع المختلفة ويقايضونها بمنتجات كردية والحقيقة فقد وجدنا كتاباً آخرين غير باسيل نيكيتين يتحدثون عن (المقايضة) في كُردستان كإحدى أشكال التعامل التجاري الدارج إبان القرن التاسع عشر.

يشير باسيل نيكيتين إلى ما يمكن ان نسميه (تجارة المعادن) إذ كان الكُرد يحاولون الاستفادة من المعادن الكثيرة، المطمورة في أرضهم فيستغلون الحديد والرصاص في خفية عن أعين الحكومة التركية ويصنعون منها بعض أدواتهم ويبيعون الباقي.

ويعول باسيل نيكيتين على (و. فيلتشنسكي) إلى الاستنتاج بان التجارة في كُردستان إبان القرن التاسع عشر كانت على قدر كاف من الازدهار لاسيّما في مجال التجارة المحلية.

اما هَيْ (١٩١٨-١٩٢٠) فيستعرض أنواع الغلال التي تنتجها كُردستان، القمح والشعير والحبوب الأخرى وأنواع الخضار كما يتحدث عن زراعة التبغ في كُردستان ويبدي إعجابه بخصوبة الأرض في أربيل ويتمنى لو ان يد الخبرة العلمية بلغتها لاصبحت من افضل الأراضي الزراعية.

ويعرج هَيْ في وصفه على أشجار الجنار وكذلك أشجار الفاكهة في كُردستان وبشكل خاص في مناطق أربيل وخوشناو ويستعرض أنواع الفاكهة كالعنب والرمان والتين والتفاح لكنه يتأسف ان لاتحظى هذه الأشجار بالعناية الكافية التي تجعلها في مستوى الأنواع الإنگليزية.

كما يشير إلى الجوز والنوعية الفاخرة منه في كُردستان حيث تبلغ الواحدة منه حجم بيضة دجاجة على ما يذكر، ويشيد بخشب الجوز المطلوب لصناعة الافدنة لانه خشب صلب كما يصف شجر الجوز والاسبندار وشجر البلوط وكثرته في كُردستان.

ويؤكد هَيْ على مادتي العفص والسماق وكثرة هاتين المادتين في كُردستان والطلب التجاري عليهما. وينتهي هَيْ إلى الصادرات والواردات في كُردستان وفي المناطق التي كانت ضمن مسؤولياته إذ يصف صادرات أربيل التي كانت تتألف من الحبوب والصوف والتبغ

والعفص والصمغ والخشب والجبن وعسل النحل والزبيب والفواكه المجففة الأخرى. وكانت هذه الصادرات في أيام هَيْ تشحن إلى رؤوس السكة الحديد عند كفري والشرقاط أو تحمل على الاطواف (الاكلاك) لتنحدر على النهر إلى بغداد. وان كميات كبيرة من القمح المزروع في أربيل كان يباع في الموصل إذا اقتضت الحاجة.

اما الواردات الرئيسية التي وصفها هَيْ في مذكراته فهي الشاي والسكر والقهوة والمواد المصنوعة في بغداد وفي فارس.

ويصف هَيْ القوافل القادمة إلى كُردستان والمغادرة والتي يعيقها موسم الثلج بين كانون الأول وآذار فضلاً عن وصفه لقوافل المقايضة الداخلية إذ تتبادل القبائل فواكهها وتبغها بحبوب منطقة الدزَيي وهم عشائر من سكنة سهل أربيل الفسيح والخصيب.

عندما كان هَيْ في المنطقة لم تكن هناك مصارف في أربيل والناس كما يذكر هَيْ تكتنز أموالها وتخزنها والبعض منهم يحاول استثمار ما لديه من مال إذ يمول ذوو الثراء العظيم التجار بإعطائهم ما يسمى بـ(السرماية) أي رأس المال ويشاركونهم في الربح والخسارة.

لقد تحدث هَيْ عن الربا، فبالرغم من انه محرم في الشريعة الإسلامية إلا انه كان واسع الانتشار وقد ذكر اسم أحد الباشوات في المنطقة ممن كان يرابي بـ(٥٠) الفاً من الباونات وبفائدة مقدارها (٣٣) بالمئة سنوياً.

يعطينا هَيْ صورة مؤلمة عن الفلاحين الذين يضطرون للاستدانة بالفائدة أو الربا فإذا جاء الحاصل سيئاً والفلاح قد راهن عليه يكون عندئذ في حال لايحسد عليه وكثير من الفلاحين فقدوا أراضيهم وآلت إلى (الاغوات) المرابين تسديداً للديون وما يترتب عليها من فوائد.

لقد لفتت انتباه هَيْ قدرات بعض التجار في أربيل، فقد كان لهؤلاء وكلاء في حلب وبغداد وكانوا يتراسلون قبل الحرب مع الشركات في مارسيلية ويصفهم بالخبرة والحذاقة في تبادل العملات ويأتي هَيْ بمثال على ذلك، فقد اعتاد أحمد باشا على إرسال كميات كبيرة من الروبيات إلى بغداد ومبادلتها بـ(تحويلات) بالباونات الإنكليزية وكان يرسل هذه (التحويلات) إلى حلب ويستبدلها بالذهب التركي. واخيراً فان الذهب الحاصل من هذه العملية (الصيرفية) يحمل على ظهور الحمير ليستلمه أحمد باشا وقد حقق ربحاً قدره (٢٥٪) من رأس المال، ونعتقد ان هذه (التحويلات) هي كوبونات أو وصولات كان يمكن صرفها (١٣٨).

الرعـي والـزراعـة والحـرف الأخـرى

الرعـــي

تعرف الموسوعة الأميريكية للعلوم الإجتماعية "الرعي" انه نشاط اقتصادي يتضمن العناية بقطعان اليفة من المواشي والاغنام والدواب والدواجن. والرعي في شكله التقليدي اما ان يكون عملاً اساسياً بوحده واما ان يرتبط بحرفة الزراعة.

وجماعة الرعاة يمكن ان ينظر اليها من منظورين اولهما انها وحدة بيئيةEcological Unit وثانيهما انهم جماعة حضارية-إجتماعية Sociocultural community (٤٥٣) .ان الموسوعة تريد ان تقول عندما تدرس هذه المهنة يفترض دراستها بيئياً أي مجموعة من البشر تعيش في ارض يجب ان تتصف بمواصفات بيئية لضمان عملية الري، مثلما يفترض ان تدرس هذه الجماعة بما اثرت عليها حياة الرعي فجعلت منها جماعة لها مواصفتها الإجتماعية. الحضارية التي تختص بها وتجعلها مميزة عن الجماعات الأخرى في المجتمعات.

ونعود الى ذات الموسوعة لنجدها تذكر المادة الإقتصادية التي تنتجها هذه الحرفة والمؤثرات التي قلصت من فعاليتها ، فتذكر ان الرعي ينتج اللحم والجلود والحليب والصوف وهذه مواد لها سوقها المستمرة.

وقد أثرت الهجرة الى المدن الكبيرة على الرعي كمهنة تقليدية وكذلك استقرار القبائل في القرى وانصرافهم الى الزراعة ادى الى نقص في الانتاج الرعوي Pastoral Production ، وكذلك تؤثر العوامل السياسية وترسيم الحدود بين مختلف المناطق وبالاخص الآسيوية والافريقية على زيادة ونقصان الانتاج الرعوي من بلد الى آخر أو من منطقة الى منطقة أخرى (٤٥٤).

اما القاموس الانثروبولوجي فيرى ان الرعي Pastoralisim اسلوب حضاري وطراز اقتصادي يقوم على كسب العيش من تربية الحيوانات.

ونأمل من القاريء الكريم ان لاتفوته ملاحظة التمييز بين مصطلحي الحضارة والتمدن. أو ان يخلط البعض بين المصطلحين والمقصود في القاموس المذكور بالاسلوب الحضاري (نمط الحياة) إذ لكل قوم نمط حياتي خاص بهم يمثل حضارتهم (Culture) وليس تمدنهم (Civilization) ذلك ان التمدن هو الجانب النامي المتقدم من حضارة القوم.

ان القاموس المذكور يؤكد ان للرعاة حضارة مادية Culture Material بسيطة، كما وان لاسلوب حياتهم الإقتصادية تأثير قوي على نظمهم الإجتماعية (٧٢).

يذكر فيشر ان من اعظم مراعي القبائل الرحل الكُردية هي ما تجهزه سلسلة جبال زاكروس المهيبة، التي تبدأ من مرتفعات تركيا وتختفي في ماكران بينما ترتفع الى اقصى إرتفاع في منطقة بختياري قريبا من المنطقة المعروفة بمشاكلها النفطية في عبادان، ويعيش على هذه السلسلة الطويلة من الجبال الكُرد بما في ذلك قبائل اللر الكُردية والبختارية ومناطق أخرى جاء ذكرها عند فيشر (٣٦-٣٧).

لقد وصف شاميلوف، رعي الحيوانات بالمهنة الرئيسية، كما يذكر ان تربية الاغنام هي الانموذج في الحياة الإقتصادية للأكراد المتنقلين، فكان الغنم دليل الثروة ويعطي الاعتبار والإحترام والقوة وامكانية اخضاع القسم الآخر من المواطنين الأكراد (يقصد المستقرين من الكُرد على ما نعتقد). واصبح الغنم بمثابة اول عملة بدأ التبادل عن طريقها (٣٣).

ويبدو ان كثيراً من الرحالة قد لفتت انتباههم ظاهرة الصراع أو التمايز بين الكُرد الرعاة والكُرد المزارعين وبعبارة أخرى بين القبائل الكُردية المرتحلة وأبناء الريف المستقرين وان هذا التمايز كان اشد وضوحاً في السابق.

اما اليوم فاننا يمكن ان نجد آثاره أو افرازاته السلوكية أو تبعياته غير المباشرة دون ان نجده بذاته، اذ يمكن ان نجد اسراً كثيرة لم تتخل تماماً عن روح الحياة القبلية Detribalization .

اذ يمكن القول والتعميم الى حد بعيد جداً ان ما من قرية كردية تمارس الزراعة أو تربية الحيوان أو كلا الحرفتين معاً الا وانتسبت الى عشيرة، في حين كانت هناك نظرة بالرغم من عدم قوتها ان المزارعين هم ليسوا بعشائريين وان العشيرة أو القبيلة هي لصيقة بالرعاة المقاتلين وكان لهؤلاء نظرة متعالية على المزارعين الساكنين في الريف وبالرغم من الاستقرار والتخلي عن التنقل الموسمي وممارسة الزراعة الى جانب الرعي فاننا نلحظ العصب القبلي ما زال حياً لا في الريف فحسب بل حتى لدى أبناء المدن ممن يعتزون ويتفاخرون بانتسابهم الى هذه العشيرة أو تلك.

لقد اوضح الدكتور شاكر خصباك هذه الظاهرة اي الصراع الذي كان قائماً بين الرعاة الرحل والزراع المستقرين، ويذكر انها تعزى الى الإقتصاد غير المستقر الذي يزاوله الرعاة يقابله الإقتصاد الثابت الذي يمارسه الزراع. فكلما انحبست الامطار وجفت المراعي وهلكت الحيوانات هجم الرعاة على جيرانهم الزراع واستولوا على حاصلاتهم. هذا فضلاً عن ان المناوشات بينهم وبين الزراع قائمة على الدوام كلما قادوا حيواناتهم نحو مراعيهم الصيفية والشتوية فعاثت في الحقول فساداً.

ويضيف د. خصباك ان العلاقات بين الرعاة والزراع المستقرين ازدادات سوءاً لانعدام

الروابط التجارية القوية بينهما فالإقتصاد المتشابه الذي يزاوله كل منهما، حيث يقوم كل منهما بزراعة الحبوب وتربية الحيوانات كما لاحظنا ادى الى اضعاف العلاقات الإقتصادية بينهما (٢٠٠-١).

اننا مع التبرير الاول الذي ذكره الدكتور شاكر خصباك اما بالنسبة للملاحظة الأخيرة، اي انعدام الروابط التجارية القوية، فلسنا مع هذا الرأي تماماً وقد اوضحنا في فصل الحياة القبلية في كُردستان كيف ان القبائل تعتمد على المستقرين في الحصول على حاجاته وكيف ان المستقرين يحصلون بدورهم على حاجاتهم من القبليين فهناك في الحقيقة مصالح اقتصادية متبادلة بين الطرفين. وهنا يجب ان لاننسى بأننا نتحدث عن حالة (كانت) وليست (قائمة) اليوم. اذ كما ذكرنا، تخلى الكُرد عن الارتحال الموسمي تقريباً. اما مسألة الإقتصاد المتشابه الذي يزاوله كل منهما فأيضاً هو ليس متشابهاً بل ما ينتجه الرعاة لاينتجه الزراع. نعم انه صراع اقتصادي ولكن بسبب التباين الانتاجي وليس بسبب التشابه من وجهة نظرنا. وهذا لايتنافى مع رأي برايس فيلبس الذي اورده الدكتور خصباك حيث سمى فيلبس هذا الصراع بـ(صراع بين حضارتين متعارضتين، الرعاة والزراع المستقرين وهذه الحرب هي حرب اقتصادية أكثر مما هي دينية (٢٠١).

تكاد معظم المصادر المعنية بالكُرد تذكر الفرق بين طبائع الزراع والرعاة الكُرد، فالمزارع يعيش حياة الاستقرار بينما الرعاة يعيشون حياة التنقل وقد ذكرنا طباعهم في فصل الحياة القبلية في كُردستان. فالرعاة يميلون الى الاحتراب والقسوة بينما يميل الزراع الى الهدوء والسكينة. ولانعتقد ان مثل هذه السمة خاصة بالكُرد وحدهم بل هي سمة عامة. ولسنا مع من اراد ان يجعل من الرعاة أكراداً اقحاح اما المزارعين منهم من عرقٍ اخر. فهذا من وجهة نظرنا خطأ فادح ولايقوم على اساس علمي.

والحقيقة فان القبليين أو أبناء العشائر وهم غالباً يعيشون من خلال رعي اغنامهم كانوا الى سنين متأخرة ينظرون نظرة ازدراء الى المزارع ولاسيّما اذا اراد ان يزرع الخضار أو الفاكهة ويبيعها فعلى ما يذكر مؤلف هذا الكتاب وهو من عشيرة كانت ترتحل في الربيع باغنامها الى الاعالي والجبال لتعيش في سقائف مؤقتة تسمى (كَبر) ثم تعود في الخريف لتقضي الشتاء في المناطق الواطئة على ضفاف نهر الخابور لم تبدأ بزراعة الطماطم والفواكه لغرض اقتصادي الا في السنوات الأخيرة (اواخر السبعينات من القرن الماضي) بينما لم تكن تجد من زراعة اشجار الاسبندار والتي كانت تعهد بها الى بعض الزارع لسقيها ونموها ثم تقطع وتجفف وتصدر عن طريق النهر الى المدينة ما يعيب وهذه العشيرة وغيرها من العشائر تمثل تطوراً ونقلة قياساً بعشائر أخرى كانت لاتوافق حتى على زراعة مثل هذه الاشجار وبعهدة زراع

غرباء. وقد افرد هَيْ أكثر من صفحة في كتابه وهو يصف الشعب الكُردي في هذا المجال، فهو يصفهم بانهم شعب رعوي اصلاً وتلعب الضأن والمعز في حياتهم دوراً كبيراً.

ويصف هَيْ الخراف الكُردية بأن لها اليات سمينة مساحة الواحدة منها قدم مربع تقريباً اما المعز فهو من النوع المعروف في إنكلترا وليس كما يقول هَيْ من تلك المخلوقات المشوهة التي تشاهد في الهند.

ويستطرد هَيْ في وصف ما ينتجه الظأن والماعز، ان هذه الحيوانات هي ثروة الرعاة، لا بل الشريان الإقتصادي لحياة القبيلة ولذلك يحرص الكُردي حرصاً شديداً على اغنامه.

لقد علق ادموندز على ذلك اذ يقول ان رجال القبيلة الكُردية اساتذة في اخفاء الحيوانات في المضايق أو الكهوف، وان العدد الحقيقي لما تملكه القبيلة من اغنام ومواشي هي غير العدد الذي يعطى للجهات الرسمية (١٣٦) وقد لاحظ ويگرام ظاهرة حب الكُرد للأغنام جميعاً. فيذكر انهم يميلون الى جمع اغنام في قراهم تزيد عما يملكونه رسمياً وهم قوم رعاة تركوا الزراعة لليزيدية وللآثوريين (٤٥).

لقد ابدع باسيل نيكيتين في وصف حياة الرعاة الكُرد حتى ليجعل المرء يشتاق ان يكون راعياً كردياً.

انه يعرض لنا تقاليد حياتهم ولاشك أن هذه التقاليد قد اضمحلت اليوم مع استقرارهم مع القبائل وتخليهم عن الارتحال، لان تربية الاغنام في كُردستان كانت تستوجب رحلتين في السنة الى المرتفعات والجبال في الربيع والعودة الى السهول والمنخفضات في الخريف.

انه يتحدث عن موسم الحملان وان من التقاليد ان يذبح كل كردي مقتدر خروفاً ويعد وليمة غالباً ما تكون في الهواء الطلق وضيوفه هم جيرانه والرعاة ثم ينطلق الشباب بعد الوليمة في الرقص والاغاني ثم ينتهي الحفل بالدعاء الى اصحاب الوليمة في ان تدر عليهم اغنامهم حليباً وسمناً كثيراً وان يبعد الله المرض عن مواشيهم ويخصب مراعيهم.

وكذلك يذكر باسيل نيكيتين بعض المصطلحات المتعلقة بمواسم الرعاة والتي يحتفلون فيها، وافضل أيام السنة وهو يوم الرحيل من المراعي المنخفضة الى الاعالي...

والاعالي في كُردستان لها تسميتان اي المناطق العالية التي ترعى فيها الاغنام ويكاد لايذوب الثلج طوال السنة عن قمم جبالها فتسمى (زوزان) وتسمى (كويستان) ايضاً.

في يوم الرحيل الى الاعالي يرتدي الجميع افضل ملابسهم وتزين الفتيات رؤوسهن بالزهور البرية النضرة ومعلقات في انوفهن المخازيم والصفائح الذهبية المستديرة، كذلك تحلى النعاج والخرفان والماعز بخصل الصوف الذهبية وتعلق في رقاب افضل الكباش الجلاجل

النحاسية.

ويتقدم الموكب الراعي الرئيسي بأجمل ثيابه وفي يده مزمار. انه يقوم بدور القائد فيعطي بتعليماته الى الفتيان في طريقة معاملة الحملان والنعاج التي ترفض ارضاع صغارها. ويأتي خلف الراعي الرئيس اجمل كبش وقد علق في رقبته جرس يرسل رنات عالية.

وقبل الانطلاق مباشرة يخاطب كل سيد رعيانه بقوله:

(إني إذ إئتمنك على قطيعي. أطلب اليك ان تؤدي واجبك بأمانة) ثم يبدأ الراعي الرئيس بالعزف على مزماره فيتحرك الموكب.

ان باسيل نيكيتين اذ يضعنا امام هذه الصورة الأخاذة من تفاعل الانسان مع الحيوان ومع الطبيعة، لايخفي دهشته من جمال هذا المرأى الذي ترك إنطباعاً في ذاكرته لم يبخل على القراء به، اذ يذكر انه ما زال يرى في ذهنه صورة القطيع يلحق بالراعي في نظام تام بينما احاط به مساعدو الراعي يصفرون ويلوحون بالعصي في ايديهم.

ويذكر انه ما زال يشاهد في ذاكرته الاطفال والشبان يتراكضون بثيابهم الزاهية ويغنون اغانيهم الشعبية فتتجاوب هذه الاصوات مع ثغاء الحملان والنعاج وحدو الرعيان.

ويختتم نيكيتين لوحته هذه التي حاولنا تلخيصها بعبارة اقتصادية فهو يذكر علة هذا الفرح الكُردي الهائل بقطعان اغنامهم، انها ثروتهم (٣٥-٧): أي يريد ان يقول انها الشريان الإقتصادي لهذه القبائل المرتحلة.

الـــزراعـــة

ان التعريف الانثروبولوجي لـ(المزارعين Agriculturists) انهم شعوب يرتكز اقتصادها على حرفة الزراعة وتستفيد في ذات الوقت من تربية الحيوانات الاليفة، وهم، اي المزارعون يستخدمون المحراث والآلات الزراعية ويمكن تصنيفهم على اساس التطور التقني / الحضاري الذي عاشته هذه الحرفة الى مزارعين يستخدمون عصا أو (خشبة الحراثة) ومزارعين يستخدمون الة العزق اي، ايّ آلة مصنعة للحفر، ومزارعين يستخدمون المحراث وهنا يقصد به وجود قوة ساحبة (الحيوانات) التي تسحب المحراث لكي يتم حرث الارض بواسطته، هذا ما جاء في قاموس الانثروبولوجيا (٧٦).

يذكر دوگلاس في وصفه للزراعة في منطقة الشرق الاوسط ان جماهير المزارعين يتوزعون بشكل غير منتظم، ويتكاثر وجودهم في المناطق الممطرة وغالباً على السواحل الجبلية للبحار بحر قزوين والبحر الاسود وايجة والبحر الابيض المتوسط.

كما نجدهم في مناحي وتلافيف مرتفعات شمال العراق وشرق تركيا وشمال غرب إيران وكذلك في الوديان والمنخفضات الدافئة التي تمتليء بالماء نتيجة فيضانات الانهر، النيل ودجلة والفرات وكذلك واحات الصحارى التي تستمد مياهها من الارض... فالماء دوماً ضرري لادامة حياة الانسان ولكن للاسف يشح في بعض المناطق، ولذلك فان الماء ونسبته يؤثران أو يلعبان دوراً في قيام أو نشوء القرى.

ولو امعنا النظر في بعض من السطور التي ذكرها دوگلاس لوجدناه قد ذكر كُردستان من دون ان يذكرها!! فهو يرحل بنا ضمن رحلته الزراعية في مناحي وتلافيف مرتفعات شمال العراق ومن هناك يصحبنا الى شرق تركيا ثم الى شمال غرب إيران، انها وربّي خارطة كردية خضراء.

ثم نعود الى دوگلاس ثانية لنجده يحاول معالجة الواقع الزراعي في المناطق المذكورة معالجة انثروبولوجية اذ يذكر ان في المناطق الزراعية في الشرق الاوسط نجد نماذج حضارية متباينة تصنف في هذا الوسط البشري الكثيف الى مستويات مختلفة من العيش ودرجة التطور الإقتصادي، والنظام السياسي التي تخضع اليه المجاميع فضلاً عن الاختلاف العرقي واللغوي هذه كلها فروق يمكن تمييزها من منطقة الى أخرى في المجتمعات الزراعية في الشرق الاوسط فللعرب وللترك وللفرس ميراثهم الخاص بهم. وبين هذه الاقوام الثلاثة الرئيسية نجد بعض الاقوام، هناك اقوام لها وجودها المستمر هذا الوجود المعتمد على قابلياتهم في مقاومة الذوبان والانصهار مثل الكُرد واليهود والمجموعات المسيحية ومجموعات أخرى (٤٤).

وفي اعتقادنا ان العبارة الأخيرة لدوگلاس بحاجة الى توضيح أو تعليل فهو يربط بين الواقع الزراعي في المنطقة واستمرارية وجود بعض الاقوام متحدية الذوبان والانصهار العرقي يتوقف عند هذا الحد، وبما ان هناك من الاقوام التي ذابت أو انصهرت بالرغم من كونها شعوباً أو قبائل زراعية عبر التاريخ اذن ما هو السر في الزراعة الكُردية كعامل بقاء للشعب الكُردي وتحدٍ لمحاولات الصهر عبر التاريخ المرير.

في تقديرنا ان سببين اساسيين يلعبان دورهما في هذا المضمار اي بالنسبة للجانب الزراعي وحده دون الجوانب الأخرى.

١- الزراعة في كُردستان متنوعة وليست شحيحة (في الجانبين الكمي والنوعي) فضلا عن الانتاج الزراعي الطبيعي اي ما تمنحه الطبيعة من غذاء دون عناء جعل من الشعب الكُردي يحافظ على الذاتية الكُردية (البقاء) بالرغم من انسحاقاته السياسية.

٢- ان جغرافية كُردستان تجعل الكُرد اقرب الى مصادر ومنابع المياه المنحدرة فالمياه تمر بها

اولا مما اغناها ولم يجعلها أسيرة الماء وشحته هذا فضلاً عن إرتفاع مستوى الامطار النسبي وكثرة الينابيع ودور الثلوج الذائبة في إنعاش الأرض (إروائياً).

وهنا سوف لانتحدث عن عوامل أخرى ادامت الوجود الكُردي خشية الخروج عن طبيعة هذا الفصل بالذات.

عندما تتحدث عن الواقع الزراعي في كُردستان -الزراعة بمفهومها الواسع- لابدّ من اعطاء فكرة عن جغرافية المنطقة أو قسماً منها على الاقل.

ان فيلد يقسم الموضوع الى كُردستان الشمالية وكُردستان الجنوبية ويظهر من المؤشرات الجغرافية التي وردت في كتابه ان المنطقة التي عناها اوسع من الواقع الحالي لجغرافية كُردستان العراق، وهو يذكر انه انتقى معلوماته في تحديد المنطقة من مصادر تعود الى الاعوام ١٩١٩-١٩٣٤-١٩١٤-١٩١٢-١٩٢١ هذا ما يذكره فيلد في بداية عرضه لموضوع كُردستان العراق (٧)

يذكر فيلد ان القسم الشمالي والقسم الشمالي الشرقي من العراق يقعان في المنطقة الجبلية من كُردستان وان الحدود الشمالية تمتد من نقطة اتصال نهري باتمان ودجلة وعلى امتداد نهر باتمان الذي يمتد بعيداً عبر بتليس الى سورب على بحيرة وان ثم تمتد الحدود على الخط الجنوبي لساحل بحيرة وان مستمراً الى خط خوشاب - كيراتو ثم نحو الحدود الإيرانية التركية.

الحدود الشرقية تتبع الحدود الإيرانية التركية في منحني جنوبي الى نهر برازكر. اما الحدود الجنوبية فتنشأ من ملتقى نهر برازكر والزاب مع دجلة.

اما الحدود الغربية فتسير مع الضفة اليسرى لنهر دجلة بين الزاب الكبير ونهر باتمان.

وطبقاً لترسيم الحدود في ٢٣/ايلول/ ١٩٢٧ يضعنا فيلد امام المناطق التي تمثل الجزء الشمالي من كُردستان وهنا سنلخصها بعناوينها الرئيسية متحاشين التفصيلات وهي:

١- المناطق بين نهري الهيزل والخابور.

٢- المناطق بين نهر الخابور وجبال جيلو.

٣- المناطق بين الفقرة (٢) ونهر شمسدينان.

٤- من نهر شمسدينان الى الحدود التركية-الإيرانية (٧)

اما القسم الجنوبي من كُردستان العراق فيذكر فيلد انها منطقة تقدر بـ(٢٠٠٠٠) ميل مربع (وهو لم يذكر مساحة كُردستان الشمالية) وتشمل قسماً من الهضبة الإيرانية العظيمة وبشكلها المستطيل غير المنتظم وهي ترتفع بالتدريج من جهة الغرب من المنطقة السهلية

لميسوبوتاميا (وادي الرافدين) لتندمج مع مرتفعات كُردستان الشمالية ومع المرتفعات الجنوبية والشرقية لإيران.

ويمكن تفصيل المنطقة بايجاز على وفق ما اورده فيلد، فالحد الشمالي يرسمه نهر برازكر من نقطة تقاطع الحدود الإيرانية مع الزاب الكبير ومن هناك ولمسافة ١٠٠ ميل وصولاً الى اسكي كلك. اما الحد الشرقي فيتبع الحد الإيراني المرسوم عام ١٩١٤ بين نهر برازكر وشمال خانقين بنقطة تبعد ستة اميال ولمسافة ٣٠٠ ميل.

اما الحد الجنوبي فانه يبدأ من نفس نقطة على الحدود الإيرانية والى نقطة التقاء نهر الوند بنهر سيروان، ثم من النهر الأخير الى قزلربات ولمسافة ١٣٠ ميل.

اما الحد الغربي فيسير حوالي ١٧٥ ميلاً على خط قزلربات - كفري - كركوك - آلتون كوبري - أربيل - آسكي كلك (٢٨).

يذكر المستر ريج في رحلته الى السليمانية عام ١٨٢٠ ان انتاج الحنطة الاعتيادي للحبة الواحدة يتراوح بين الخمس والعشر، وقد تكون خمس عشرة الا ان ذلك يعد غلة غير اعتيادية. وكانت غلة السنة التي سبقت رحلته الى كُردستان عام ١٨١٩ شحيحة لم تنتج الا اثنتين للحبة الواحدة ويذكر ان الحنطة والشعير يزرعان بالتناوب في الارض الواحدة والأكراد يزرعون معتمدين على المطر، ويسمى هذا النوع من الزرع بالديم وهنالك نوع من الحنطة تسمى (بهاره) يبذر البذر في الربيع ويحتاج الى الري الاصطناعي، ولاتترك الارض في السهول بوارا، بل تزرع حنطة أو شعير بالتناوب، اما في الارض التلية فيجب مراوحة التربة بين سنة وأخرى، اما القطن فيجب ان لايزرع قط مرتين متواليتين في الارض الواحدة ويغلب زرعه مع التبغ مناوبة.

والقطن كله من النوع السنوي (بكسر العين) وهو يحتاج عادة الى الارواء على ان قسما منه يزرع في التلال ديما. ويستعمل السماد في تسميد الكروم والتبغ فقط. اما الشلب فلايشتل سنين متعاقبة في الارض الواحدة التي يمكن الانتفاع بها في زرعها بحبوب أخرى وأكثر ما يزرع في منطقة شهرزور، ولايزرع القنب أو الكتان في كُردستان. ولقد اخبره عمر آغا بانه بذر في تلك السنة قليلاً من بذر الكتان حصل عليه من حاج جاء به من مصر. وتزرع ايضا في كُردستان الذرة الهندية والذرة البيضاء كما يزرع العدس والحمص والدخن ونوع أو نوعان من الماش. اما افدنتهم فيجر الواحد منها ثوران.

ولاتنمو اشجار البرتقال أو الليمون في كُردستان*، وذلك لان حرارة الصيف تتجاوز حد

* الحقيقة بدأ بعض المدن في كردستان في السنين الأخيرة يزرع أشجار الليمون والبرتقال ولكن على صعيد محدود، إذ تزرع حدائق البيوت بها وهي ناجحة.

الاعتدال حقاً، اما برودة الشتاء فقارصة بالنسبة لهذه الأنواع من الاشجار ويذكر ريج، لقد جلب الباشا اخيراً بعض اشجار البرتقال الاشبيلي والليمون الحلو من بغداد لجنينته الجديدة. ولكن الشتاء الاول اماتها كلها ويزرع شجر الخروع في جميع انحاء كُردستان وقد يزرع احياناً في مزارع منفردة واحياناً مع القطن سوية (٩٣-٩٤).

ويذكر السير مارك سايكس انه عندما غادر (باش قلعة) في كُردستان تركيا باتجاه قرية تاخوراوا البائسة في فقرها المدقع، وجد رهطاً من الكُرد يحصدون الحبوب في شهر تشرين اول (اكتوبر) وفي جو متجمد من البرودة وكانت ملابسهم الرثة تكاد لاتحمي عري اجسادهم. وكما يذكر سايكس، عليّ ان اقول ان هؤلاء لايتسولون ولايسرقون، وليس لهم بعثات تبشيرية ولا مرشدين يعتنون بهم -ونعتقد ان مارك سايكس- يقارنهم بالمسيحيين في المنطقة اذ على ما يبدو كان لهؤلاء من يعينهم من بعثات أو مصادر أوربية خيرية أو سواها - ونعود الى سايكس الذي يضيف، ان هؤلاء التعساء اي المزارعين الكُرد سيتهرأون أو يموتون أو يتضورون جوعاً حد الموت، هؤلاء الذين لاتشفق عليهم اوربا أو ربما تحولوا إلى عرق من النهابين السلاب.

ويستمر السير مارك سايكس، في تعاطفه مع المشهد، اذ يذكر انه لايستطيع الكف عن التفكير بـ(ميزوبوتاميا) واراضيها الخصبة المعطاءة التي تنتظر هؤلاء الناس الفقراء فيذكر، ربما جلس اطفال قرية تاخوراوا الممزقي الملابس يوماً وهم في سن الرجولة تحت حرارة شمس أوائل ايار (مايو) يطلقون بأبصارهم الى بحر من ذهب القمح الناضج.

ان الأكراد الجبليين على الحدود ليسوا بالمهملين أو المتثاقلين من العمل. وان كل مرتفع له مجراه المائي ولكن معرفة هؤلاء بالري ما زالت تشبه ما كانت عليه في العصور المظلمة (٢٢٦-٧) (ان مارك سايكس زار كُردستان عدة مرات في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين).

ونرى ان السبب في فقر هؤلاء ربما كان ما ذهب اليه السير مارك سايكس اي الجهل باسباب الري الحديثة ولكنه ليس السبب الوحيد، بل كان هؤلاء يعملون لحساب (باشوات) وليس (اغوات) المنطقة وحتى في حالة إمتلاكهم لقطعة ارض صغيرة أو استئجارها لزراعتها، كانت الضرائب الثقيلة والمتكررة تثقل كواهلهم.

يذكر توما بوا الذي زار المنطقة في أواخر العشرينات من القرن العشرين... مع الأكراد... ان الامراء الكُرد هم الذين ادخلوا زراعة القطن الى سوريا وهو يضيف في موقع آخر من كتابه إعجابه بمستوى البستنة عند الكُرد، فيذكر انهم بستانيون وكذلك زراع كروم بشكل ممتاز ويشبه توما بوا الكُرد باللبنانيين الجبليين فهم ينصرفون في جبالهم الى بناء السطوح المسندة

بواسطة حيطان صغيرة حتى يستطيعوا زرع الاذرة والدخن (ذرة بيضاء) وغيرها عندما تكون الارض صالحة. والخضروات متعددة ومتوافرة بكثرة مثل البطاطا، اللوبياء، العدس، البسلة الخضراء، الطماطة، الباذنجان، اللهانة، البصل، الجزر، اللفت، الخيار، الشمام، البطيخ، السبانغ، الفجل.

وكذلك تنتشر الاشجار المثمرة بشكل مهجور* ولكنها تحظى كذلك برعاية وعناية الفلاحين ومن ثمار هذه الاشجار، التفاح، الكمثرى، الخوخ، التين، المشمش، التوت، الرمان.

ثم يعرج توما بوا على وصف المزارع الكُردي، اذ يقول، يعد الكُردي مزارع كروم ممتازاً، فهو يزرع كرومه بمهارة ويجني عنباً ممتازاً وهناك زهاء عشرين نوعاً من الكروم في كُردستان ويؤكل العنب طرياً كما انه يجفف وهو غذاء جيد للشتاء، اي الزبيب (٣٠).

وقد وصف برانت ١٨٣٤ الزراعة في كُردستان واثنى على طريقة الزراعة واشار على الرغم من انحباس المطر في تلك المناطق لبضعة أشهر فان عشرة أيام كافية لرؤية البذور المزروعة قد نمت واخضوضرت الارض وذلك بسبب الرطوبة العالية التي تتمتع بها بعض الاصقاع في كُردستان، وبرانت جال في المناطق الشمالية الغربية في كُردستان اي في المناطق الجنوبية الشرقية من تركيا (١٣٩).

لقد تحدث هاملتون عن المحراث الكُردي فيذكر من مشاهداته في نهاية العشرينات، ان هذه المناطق -يقصد مناطق أربيل- مشهورة بخصوبتها منذ اقدم العصور وتسقط فيها الامطار في الشتاء بغزارة ولكن الارض ما زالت تحرث بتلك المحاريث التي كان يستعملها آباء التوراة الأوائل وهي عبارة عن جذلة شجرة مفروقة الفرعين تقطع بحيث يكون احد الفرعين اطول من رفيقه وتكون هيئته مثل خطاف خشبي يجره فوق سطح الارض زوج من الثيران، ويوجه الحارث اداته هذه بعتلة خشبية مثبتة فيها ويسوق الثورين بعصا مدببة الرأس. ويوجد في المحراث احياناً لا دائماً شفرة حديدية مثبتة بالقرب من زاوية الخطاف ليرفع من مقدرة المحراث على شق التربة (٥٠).

وقد لاحظت هانسن ان في موسم الحصاد يصنع الزراع أو الحاصدون (الكَبرات) وهي سقائف تعد من الاغصان الخضراء لوقاية الفلاحين من الاستمرار في البقاء تحت الشمس ويستريحون في ظلها ولاتلبث هذه السقائف ان تغير من لونها الاخضر الى الاصفر حيث تجف الاوراق.

اما عملية الحصاد فتذكرها هانسن انها تتم بواسطة منجل وتوضع في الاصابع حلقات

* المقصود الأشجار المثمرة الطبيعية وليس المزروعة في البساتين.

تساعد على مسك حزمة السنابل ويمشي الرجال جنباً الى جنب وهم يحصدون ثم تفصل السنابل عن السيقان. (٧١)

اما باسيل نيكيتين فيصف الكُرد انهم مهرة في الري، اي في اقامة المجاري المائية لري اراضيهم، وشبه نيكيتين الكُرد بالكلدانيين الذين على ما يبدو كانوا بارعين في اقامة المجاري المائية لري اراضيهم.

ان نيكيتين لايخفي اسفه من ان الكُرد في غالبيتهم لايعيرون الزراعة الا إهتماماً ثانوياً. ان نيكيتين ينقل اراء المؤرخين لنا في تعليل انصراف الكُرد عن الزراعة. بسبب نظام الضرائب الذي من شانه ان يثبط عزائم الكُرد في الزراعة (٤٢).

وكما يظهر ذلك في كتابات معظم الرحالة الذين جابوا كُردستان ان الكُرد كانوا يعانون معاناة كبيرة من المبالغة في الضرائب المفروضة عليهم من قبل الدولة العثمانية وكذلك من قبل إيران. لقد كان ابتزازاً حقيقياً وغير معقول.

يتحدث فيلد عن منطقة كُردستان الشمالية اولاً فيصفها ببلد الزراعة غير الكثيفة ويستثني من ذلك السهول الواقعة بين الجبال وشواطيء دجلة حيث يكون استخدام مياه النهر في ارواء السهول الشمالية استخداماً واسعاً.

ان الطريقة الرئيسية في عملية الري هي طريقة رفع الماء وكذلك طريقة الناعور- وربما قصد فيلد برفع الماء اقامة ما يسمى بـ(السكر) في الشمال أي حجز جزء من النهر وبشكل تدريجي، وبهذه الطريقة فان الماء يروي المناطق من خلال قنوات صغيرة - اما في الجبال فان قنوات صغيرة تشق من الجداول ولاتوجد في هذه المناطق مستنقعات دائمية وكل الأراضي المزروعة أراضي ناعمة ومشبعة بالماء من خلال الري.

ان المحاصيل الشتوية والصيفية ينموان ولكن المحاصيل الصيفية اقل عطاءً بسبب شحة الماء في السهول.

ان القمح والشعير هما من المحاصيل الدائمية بينما الرز وبعض الحبوب الأخرى ينمو عندما تتوفر الشروط التي تسمح بنموها في الوديان الواقعة بين الجبال وبعض مناطق شواطيء نهر الزاب الكبير الذي يخترق السهول ليلتقي بدجلة حيث ينمو الرز والتبغ. اما المحصولات الشتائية القمح والشعير والعدس والفاصوليا والدخن فمعظمها أكثر اعتماداً على امطار الشتاء.

اما المحاصيل الصيفية كالرز والدخن -جاء ذكرها في المحاصيل الشتوية ايضاً- والقطن والسمسم والماش والبصل والكزبرة فانها تنمو بالقرب من قنوات الري المشتقة من الزاب

الكبير قرب القرى المجاورة التي فيها ينابيع وجداول موقتة.

وفي المناطق الجبلية حيث تمر الانهر من معظم وديانها فان الحاصلات الصيفية تكون هي الاهم فالرز هو المحصول الرئيسي ولكن التبغ ايضاً ينتج في بعض المناطق.

تنمو الفواكه في المناطق الجبلية وبالاخص في منطقة دهوك حيث التفاح والتين والخوخ والمشمش والرمان ويكون نموها غزيراً. وفي المناطق الشمالية الشرقية يصدر الجوز واللوز الى الموصل.

وتعقيباً على ما ذكره فيلد في هذا المجال فان كل الحاصلات، وليس الجوز واللوز وحدهما، كانت تصدر الى الموصل من المدن الكُردية حيث كانت الموصل مركز المحافظة من جهة ومن جهة أخرى بقيت سوقاً لتصريف الحاصلات في المنطقة الكُردية لمدن زاخو ودهوك وعقرة والعمادية وسنجار اذ يفهم مما ذكره "فيلد" وكأنما الجوز واللوز هما المادتان الوحيدتان المصدرتان الى الموصل فعندما دخلت السيارة الى المنطقة واصبح من الممكن ايصال الفاكهة من تلك المدن بساعات معدودات اصبحت المدينة -أي الموصل- التي لم تكن تعرف زراعة الفواكه سوقاً للفاكهة كما وان الموصل كانت ولاتزال تستورد الحبوب كالرز من عقرة والعدس والحمص والسمسم من المناطق الشمالية هذا فضلاً عن الاخشاب حيث كانت تستورد الموصل كميات هائلة من خشب كُردستان الذي يصلها على طريقة "الاكلاك" اي رزم الجذوع بعد انتزاع اللحاء منها ووضعها على قرب منفوخة بالهواء وتطلق في النهر ويحملها دجلة الى الموصل لتباع هناك.

ويتابع فيلد الحديث عن المحاصيل فيذكر أن الكروم تغطي سفوح المرتفعات حول معظم القرى وخاصة في دهوك والمزوري* حيث انها تعد من اوسع مناطق الكروم. والعنب يجفف ليصبح زبيباً وكذلك تنمو في هذه المناطق الكمثرى والاجاص والتوت الابيض والتوت الاسود والسفرجل.

ان الزراعة في هذه المنطقة بدائية وان الاداة الزراعية الوحيدة هي المحراث الخشبي الذي تسحبه البغال أو الحمير أو الثيران والعملية عموماً هي عملية حرث متقابل للارض من كانون الثاني الى انتهاء موسم الامطار ثم تبقى الارض غير مزروعة صيفاً الى ان يسقط المطر عندها تبذر البذور وتحرث الارض لتنغرس في الارض.

ويصنف فيلد الاراضي من الناحية الزراعية الى:

١- اراضي الديم المعتمدة على الامطار.

* المزوري: يقصد المناطق التي تعيش فيها عشيرة المزوري التابعة الى دهوك.

٢- الاراضي التي تروى بواسطة الانهر والابار والمياه التي ترفع بواسطة النواعير والسدود البدائية (السكر).

٣- سفوح التلال التي تكون نسبة منها ديمية وأخرى تروى عن طريق جداول أو مساقط مائية تنحدر من الاعلى الى الاسفل.

ويتوصل فيلد الى ان الزراعة في هذه المنطقة لايمكن ان تأخذ دورها التجاري الحقيقي قبل ادخال الوسائل الزراعية الحديثة التي من شأنها ان تزيد في نسبة الانتاج (١٣).

ويمكن ان نستنتج مما توصل اليه فيلد في تلك الفترة أن الزراعة في كُردستان كانت تعطي الحد الادنى من امكاناتها الحقيقية.

اما الزراعة في منطقة كُردستان الجنوبية كما يذكرها فيلد فانها تقوم على زراعة القمح في المناطق المحيطة بكفري وكركوك والتون كوبرى وأربيل فضلاً عن الوديان الواسعة في شهرزور وقَرَداغ التي تنتج مقادير عظيمة من الحنطة والشعير.

ويصنف فيلد الاراضي الزراعية في كُردستان الجنوبية الى:

١- اراضي تسقى حيث المياه تجري من المنابع الطبيعية.

٢- اراضي تسقى بواسطة قنوات تحت الارض (كاريز).

٣- اراضي لاتسقى (ديم).

ان الحاصلات الأساسية هي القمح والشعير والرز والعدس والسمسم والذرة. اما حاصلات الفواكه فتشمل البطيخ والعنب والزبيب والتين والرمان والتمر والكرز والأجاص والمشمش والتوت والتفاح والكمثرى.

والخضروات الشائعة هي الفاصوليا والخيار والبزاليا والطماطم والبصل وحاصلات أخرى مثل عرق السوس والتبغ وصمغ الكثيراء.

ان الزراعة في مناطق المرتفعات تختلف عن الزراعة في السهول الغرينية في كُردستان الجنوبية فهي تعتمد في انتاجها على النظام المعقد في الري.

الامطار الغزيرة كافية لانبات محاصيل ناضجة ولتجهيز المراعي بالكلأ الغزير لقطعان الماشية وكذلك الماء لتجهيز الجداول بالمياه الغزيرة التي تصون حياة كثرة من الناس.

ان السكان الريفيين ينقسمون الى:

١- مزارعين وفلاحين مستقرين.

٢- انصاف رحل.

٣- جماعات الرحل.

ان الصنفين الأخيرين يغيران موقع سكنهما تبعاً للفصول ومعظمهم رعاة أو مزارعون ولكن بشكل في منتهى البدائية. ويضيف فيلد ان المناطق الشرقية من التلول والجبال مغطاة بالشجيرات واشجار البلوط، والشجيرات واشجار الفواكه تحيط بالقرى والمدن، ان كثيراً من اشجار البلوط فقد استهلكت بشكل فضيع بسبب تحويلها الى فحم لا قيمة له سوى استخدامه كوقود وان ما يستهلك من هذه الاشجار لاتستطيع شجيرات البلوط الصغيرة ان تنمو بالسرعة التي تعوض ما يقتطع من اشجار. ان حرق جذوع هذه الاشجار يعد من الاعمال الشائعة في المنطقة (٣٠-٣١).

والحقيقة ان ما ذكره فيلد عن مناطق كُردستان الجنوبية لايعني ان التماثل غير موجود أو يختلف عن مناطق كُردستان الشمالية فعلى سبيل المثال ان منطقة شمال كُردستان تعاني من مشكلة حرق اشجار البلوط واستخدام الاخشاب للحرق أو لصنع فحم الوقود وكذلك فان المجتمع الريفي في كُردستان الشمالية ايضا يخضع الى نفس التقسيم الثلاثي الذي ذكره فيلد، وفي اعتقادنا ان الزراعة الكُردية متماثلة بغض النظر عن كونها شمالية أو جنوبية فالفرق ليس بكثير لكن الفروق تظهر تبعاً لجغرافية الارض كونها جبلية أو تلول أو سهول أو وديان أو شواطيء انهار ومع هذا فنحن نعتقد ان فيلد اعطانا صورة حقيقية عن واقع الزراعة الكُردية في العشرينات من القرن العشرين. لذا لو قارنا بين كل ما ذكره فيلد عن منطقة كُردستان الشمالية والجنوبية لتوصلنا الى نتيجة رئيسية لها مدلولها القومي وبهذا لانجد من تصنيف فيلد كُردستان الى منطقتين شمالية وجنوبية تصنيفاً نوعياً قدر ما هو تصنيف اقتضته اسلوبية بحثه.

وقبل الانتهاء من موضوع الزراعة والبستنة في كُردستان لابدّ من ان نذكر ان الزراعة لاتمارس من قبل الرجال وحدهم الا اذا كان العمل شاقاً جداً فمثلاً حرث الارض بالمحراث هو من اختصاص الرجل الذي يدفع بالمحراث الذي تجره الحيوانات وكذلك حفر الارض أو العزق ولكننا نجد مشاركة النسوة والفتيات للذكور في لم ورزم وحمل سيقان الحنطة اليابسة المحصودة وتجميعها لغرض عملية درس الحبوب وتذريتها وكذلك نجد النسوة وهن يشاركن في جني الحاصلات الخضرية، فهي اي مهنة الزراعة مهنة تهب لها العائلة ولكن لكل عمل من اعمال الزراعة لونه وتبعاً لذلك قد تشترك الاناث في ادائه وقد لايشتركن. لكن عموماً فان عملية الزراعة تكسب العائلة روحاً وئامية، فها هوذا الجد يقف في الحقل وقد اظنته سنوات العمر بتؤدة ويداري غليونه بين حين وحين أو لفافة سيكارته معطياً التوجيهات بينما نجد الأبناء والبنات والكنة منتشرين يعملون بدأب والاحفاد المراهقين والاطفال يحاولون ان يعبروا

عن قدراتهم في هذا العمل الجمعي، انها صور زاهية من تفاعل العامل العائلي بالعامل الإقتصادي ليس غريباً على المشاهد ان يرى لوحات عدة منها، وفي مواسم مختلفة في كُردستان.

ومن الحرف المرتبطة بالزراعة في كُردستان هي تصنيع المنتجات الزراعية ايضاً من قبل العائلة وهنا يكون دور المرأة اوضح في مثل هذه الصناعات الغذائية ومنها اعداد البرغل ومشتقاته من سلق القمح وجرشه وكذلك صنع دبس العنب وتجفيف الفواكه كالمشمش والزبيب ومعجون الطماطم وان العوائل المتمكنة ينتقون عدداً من الضأن ويُعلفونها جيداً في الصيف والخريف لكي تسمن ثم تذبح وتقطع لحومها بدون عظم ثم تسلق وتحمر في الالية المقطعة اي سمن الالية وتخلط تماماً مع السمن الذي لايلبث ان يتجمد حول كل قطعة لتوضع في قارورة وتستخدم هذه اللحوم في الشتاء عادة. وفي اعتقادنا ان هذه الطريقة هي (الجد الاعلى) لفكرة المعلبات أو اللحوم المعلبة التي تصنعها الدول المتحضرة اليوم فالشحوم التي تحيط بقطعة اللحم المملحة والمقلية تمنع وصول البكتريا اليها بالاضافة الى كبس هذه القطع جيداً في القارورة وتغطية فوهتها جيداً وتستخرج بين حين وآخر لتسخن وتؤكل وحدها أو مع الاطعمة الأخرى وهي علاج جيد لندرة مهنة (القصابة) في القرى اي عدم توفر اللحوم الطازجة يومياً... والحقيقة فحتى وان وجدت اللحوم الطازجة يومياً فإننا نجد ان هذه الطريقة بالذات هي اكلة لها مذاقها الخاص الذي اتمنى ان لاتنقرض إزاء التغيرات الحضارية والإجتماعية الهائلة التي يعيشها البشر اليوم.

حرف متنوعة

عرضنا لحرف رئيسية ذكرها المستشرقون والرحالة ولكنهم ذكروا ضمناً بعض الحرف الأخرى التي شاهدوها وتركت إنطباعات معينة لديهم.

ان هاملتون مثلاً الذي شق طريقه المشهور في كُردستان في مناطق وعرة جداً لايخفي إعجابه بمهارة الكُرد في شق الصخور وبناء الجسور ويوضح في مذكراته ان الكُرد الإيرانيين بزّوا غيرهم في نسف الصخور ويصف العملية انها لاتخلو من خطورة وتعقيد. (١١٣)

وفي موقع آخر من مذكرات هاملتون نجده يشيد بطريقة الكُرد في صنع الرحى والطواحين ويشيد باستفادة الكُرد من المساقط المائية التي تعمل بموجب الحركة المعتادة التي يسميها هاملتون بـ(العجيبة) مع انها كما يذكر لاتختلف عن دولاب بلتون الشائع في معظم الأجهزة الكهرومائية العصرية.

وكذلك يذكر هاملتون ان الكُرد اخترعوا جهازاً أوتوماتيكيا لتلقيم الرحى الحب فكل دورة يقطعها حجر الرحى تسمح بانصباب كمية صغيرة من الحب في الثقب المركزي وعلى حد قوله، ان المرء يشاهد في كُردستان عدداً لايحصى من هذه الرحى تطحن الشعير والحنطة وتحيله إلى دقيق. (٩١)

ويحدثنا برانت في الثلث الأول من القرن التاسع عشر عن صناعة الصمغ في كُردستان، فهناك نوعان من النبات الأول وروده بيضاء والثاني وروده بنفسجية فأما الأول فيستخرج منه صمغ ابيض جيد واما الثاني فيستخرج منه صمغ بني الشكل واقل جودة من الأول، يقوم الرجال بجمعه وهم يجوبون الجبال يبحثون عن جذور هذه النباتات التي تقطع لكي ينضح من مقاطعها الصمغ بحالته السائلة اللزجة ثم يعودون اليه بعد يومين أو أكثر ليجدوا ان هذه المادة قد تصلبت فتجمع على شكل كتل صمغية جافة وتباع كذلك واعادتها إلى حالتها السائلة امر سهل إذ تغلى بنسبة معينة من الماء لتعود وتصبح صمغاً سائلاً وتدر هذه الحرفة مردوداً لا بأس به على بعض القرويين الذي يبيعون هذه المادة لطالبيها من باعة المدن وكثيراً ما تشارك النسوة والأطفال في البحث عن هذا النبات واستخدامه واستنضاح الصمغ منه. هذه المهنة في الحقيقة كانت واضحة في تبليس في كُردستان تركيا (٩٨).

لقد لمح سون في رحلته التنكرية إلى إمكان قيام صناعة حرير جيدة في منطقة حلبجة ويبدو كان راغباً في ذلك بيد انه ليس هناك ما يشير إلى قيامه بذلك (٢٦٢) ومن الصناعات التي جلبت انتباه الرحالة في كُردستان الصناعات الخزفية والجلدية والصاغة والنقاشون حتى ان توما بوا يؤكد انتقال بعض أشكال هذه الصناعات الكُردية إلى أوربا عبر مدينة البندقية فهناك من الصناعات ما حملت أسماء صناع كرد.

يذكر توما بوا أنواع الصناعات المنتشرة في كُردستان ومنها صناعة الأحذية من الجلد وصناعة المعادن والأخشاب والخبراء بعمل السروج والصياغة والنقش على مقابض الخناجر أو الأقراط وصناعة الأقداح وقارورات النارگيلة اما النقش على النحاس فيعده توما بوا فناً كردياً قديماً وصل اوربا.

ويذكر ان في السليمانية وحدها كان هناك (١٥٠) محترفاً لصناعة الأسلحة اما في الشتاء فكانوا يصنعون المواقد وعلب السكائر وغيرها من الصناعات. (٣٦)

ومع ما شاهد الرحالة من أشكال من الحذق الصناعي أو الحرفي فان شميدت وهو رحالة متأخر زار كُردستان في الستينيات قد لاحظ افتقار الكُرد إلى الأدوات التي يهندمون بها ألواح الخشب وهو يصف الابواب والسلالم وحافات النوافذ في القرى التي زارها (٢٤٩) لكنه سجل إنطباعاته عن مهارة الكُردي في لف سيكارته بيده أو في صنع سيكارته يدوياً (٧١).